الـدرس الـثـانـي/ حركـة الإصـلاح ودورها في تطـور الأدب:

كما هو معروف ومعلوم أنّ الاستعمار الفرنسي سعى بكل ما في وسعه إلى طمس معالم الهوية الجزائرية ومسخ فكر ومعتقد المجتمع، وتشويه تاريخه ولغته.. ما جعل رجال الحركة الإصلاحية يتصدون لهذه الحملة بالتشبث بعناصر الهوية وبكل ما يمت إلى الماضي بصلة، والدعوة إلى التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف وما قرّرته السنة النبوية. إنّ أغلب الشعراء الجزائريين آنذاك(مطلع القرن العشرين..) كانوا ينتمون إلى الحركة الإصلاحية متبنين لأفكارها.. فعمت الدعوة إلى إحياء التراث الأدبي/ والاعتناء باللغة العربية، ومما يؤكد ذلك أنّ(**أبا اليقظان**) اشترط في الشاعر أن يكون واسع الاطلاع<< **متضلعًا في لغة العرب وقواعدها وآدابها، ومناحيها وطبقات شعرائها وآدابها، مُلِمًّا بأنساب العرب وأيامها، وتواريخها ووقائعها، وسائر أحوالها رقيًّا وانحطاطًا، حضارة وبداوة، لأن هذه الصفات تعطيه ملكة تامة في الشعر.. يأمن بها من العثار المزري بالشاعر**>>. كما يقول(ابن باديس) أيضا:<< **الشعر العربي هو أصل ثروتنا الأدبية، وأصل بلاغتنا، ومرجع شعرائنا في اللغة والبلاغة والأساليب العربية، فدرسه والاستفادة منه أمر ضروري لحفظ هذا اللّسان المبين**>> .

وبهذه الرؤية وبهذا التوجيه، والاعتناء بالتراث الأدبي القديم: من بلاغة وبيان، ولغة راقية، وأساليب فخمة، وصور موحية، لا يعني انصهارهم في التراث كلية، بحيث ينسون واقعهم، بل جمعوا إلى عراقة التعبير وحداثة المواضيع وارتباطها بالواقع الاجتماعي والسياسي والقضية الوطنية بشتى أبعادها عموما ولذلك كان تركيزهم وعنايتهم بوظيفة الشعر، ودوره ومكانته في الحياة والمجتمع، ومناقشتهم لدور الشاعر ورسالته في التوعية والتوجيه، وتنمية الحس الوطني وربط الشعر بالواقع المزري الذي كان يعيشه الجزائريون تحت وطأة الاستعمار الفرنسي وسياسته القائمة على القهر والاضطهاد، و الاستبداد والتجهيل والتجويع.. بل صدروا في مقولاتهم المتعلقة برسالة الشاعر ووظيفة الشعر، فسخروا شعرهم لإصلاح المجتمع وتحقيق نهضة البلاد ورقيها.

أولا/ مشروع عبد الحميد بن باديس(التعليمي التربوي):

لقد أعطى(ابن باديس) أهمية قسوى لبناء المدارس والمعاهد لتعزز الرسالة الاجتماعية والنهضة الفكرية والأدبية. إن تاريخ (**المدرسة الحرة**) في الجزائر صفحة مشرقة من صمود الشعب في سبيل شخصيته ومقوماته من عقيدة وحضارة ولغة، وبفضل هذه المدارس والمعاهد التي شيدت من طرف الحركة الإصلاحية في الثلاثينيات والأربعينيات(القرن20)عرفت الحياة الجزائرية نهضة مزدهرة في شتى

الجوانب ومن بينها(**نهضة الأدب**) وتطوره في ظل هذه المدارس والمعاهد التي كانت بمثابة حواضن علمية وأدبية ومراكز إشعاع ثقافي، احتضنت النشء وعملت على تكوينه التكوين الصحيح الذي يتوافق والهوية العربية الإسلامية، ومنها مدرسة(الإخاء) ببسكرة، مدرسة(دار الحديث) بتلمسان،(معهد ابن باديس)بقسنطينة، مدرسة(التهذيب)بالبليدة، مدرسة(التربية والتعليم) بمستغانم، مدرسة(الاستقامة) بقالمة.. لقد لعبت هذه المدارس والمعاهد في تاريخ الجزائر الحديث دورا رائدا في بعث المكامن الوطنية وكانت لها الأثر البالغ في نهضة الأدب الجزائري الحديث الذي كانت أشكاله ومضامينه لا تخرج عن الرؤية التقليدية شكلاً، والدينية مضمونًا، فحررته من ذلك ودفعت به إلى أن ينزع النزعة التجديدية شكلاً ومضمونًا لمسايرة ومعانقة الواقع وما يجري فيه من تطورات .

ثانيــا/تأسيس الصحف والمجـلات: لقد أدرك رجال الحركة الإصلاحية ما للصحافة من دور فعال في إيقاظ الضمائر، وإحياء القلوب، وبث الوعي..عن طريق المقالات الإصلاحية كانت سياسية أو دينية أو أدبية.. فقد شجعوا المواهب والكتاب في مجال الأدب والشعر بإحداث جوائز للمتفوقين.. ومن تلك الجرائد التي اهتمت واحتفت بالأدب والأدباء:(المنتقد، والشهاب) عبد الوحميد بن باديس، (الإصلاح) للطيب العقبي،(البرق) لمحمد السعيد الزاهري، (وادي ميزاب، ميزاب، النور، المغرب، الأمة، الفرقان..) للشيخ أبي اليقظان و(البصائر) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وقد كان هؤلاء الأعلام وهم علماء مصلحون وأدباء ملتزمون وصحافيون وطنيون(حرصين على تطوير الحركة الأدبية وحرصهم على المساهمة في النهوض بالمشروع الوطني في جميع أبعاده، وقد تجلى ذلك في توجيههم لهذه الجرائد الوجهة التي تمكنها من تخصيص مساحات ثابتة للنتاج الأدبي فكان بالشهاب:(ركن الأدب)، من المنظوم والمنثور،(اليوم وقبل اليوم).. وغير ذلك. وكان بالبصائر(إلى الأدب، النقد الأدبي، نقد المسرحيات المدرسية) وغيرها، وكان ما يماثلها في بقية الصحف الأخرى . وقد عبر الشعراء عن أهمية الصحافة في بعث النهضة، ودورها في الحياة والثقافة والفكر والأدب إذ يقول الشيخ أبو اليقظان:

إنّ الصحافـــــة للشعوب حيـــاة   والشعب مـــن غـير لسان موات

فهي اللّسان المفصح الذلق الذي   ببيـــانـه تـتـدارك الغـــايـــات

وهـــي الوسيلة للسعـادة والهنـــا   وإلـى الفضائـــل والعلى مــرقـاة

ثالثــا/ تأسيس الجمعيات والنوادي: يطالعنا في العشرينيات من القرن العشرين (**نادي الترقي**) الذي تأسس سنة(1926) بالعاصمة، والذي سيصبح فيما بعد(المنبر العام) للإصلاح في القطر الجزائري

كله، وبه استردت الجزائر صيتها في عواصم المشرق والمغرب. واحتفاء الشاعر بالنادي احتفاء بمنبر للإصلاح، وتغيير للمجتمع وأكثر المعاني إلحاحًا على الشاعر ما يتصل بالعروبة والإسلام، وما يمس لغة الضاد.. وتقام فيه نشاطات أدبية وفكرية مختلفة، ومن أهم الجمعيات**(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)** التي تأسست سنة (1931). وتعتبر الجمعيات الثقافية تعزيزا للنوادي تسهر عليها ماديًا بجمع التبرعات وأدبيًا بوضع البرامج وتنظيم النشاط، وبهذا يكون التكامل بين النوادي والجمعيات الثقافية لتجسم الإصلاح الفكري والنهوض الأدبي. فكانَا لهما الأثر البالغ في تنشيط الحركة الأدبية والثقافية والفكرية.. وهذه المشاريع تعتبر من أساسيات قيام نهضة مختلفة المشارب: سياسية كانت أو اجتماعية ودينية وفكرية وثقافية والتي يكون في مقدمتها النهضة الأدبية.